

تمثلات تلاميذ المدارس الخاصة للتدين

—دراسة ميدانية على عينة من تلميذات المرحلة الثانوية بالمدارس الخاص لولاية تلمسان—

**Representations of Religiosity among Private School Students
– A Field Study on a Sample of Female High School Students in
Tlemcen’s Private Schools—**

بووشمة وهيبه (طالبة دكتوراه)^{*1}

¹جامعة تلمسان، مخبر المؤسسة الصناعية والمجتمع في الجزائر (الجزائر)

wahiba.bououchma@univ-tlemcen.dz

د. باي بوعلام (المشرف)²

²جامعة تلمسان (الجزائر)

abamerieme@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/09/11 تاريخ القبول: 2024/11/28

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على تمثلات تلاميذ المدارس الخاصة للتدين من خلال الفعل الاجتماعي لكل تلميذة، اتبعنا المنهج الكيفي التحليلي، الذي طبق على عينة الدراسة المتمثلة في تلميذات المدارس الخاصة، فأعدنا بذلك دليل المقابلة مكون من المحاور التالية: البيانات الشخصية للمبحوثين، تلميذة المدرسة الخاصة والتدين، الممارسات الطقوسية للتدين، كل هذه المحاور تضمنت مجموعة من الأسئلة، تحتوي بدورها على مؤشرات، مكنتنا من الكشف عن التناقض بين ما هو ديني و ماهو دنيوي، من خلال: الصلاة، الحجاب، العلاقات العاطفية، توصلنا للنتائج التالية: تلميذة متدينة: هي التي تجد أن الدين محدد لأغلب جوانب حياتها، فيسلك بذلك الفعل الاجتماعي طريقه نحو الدور والمكانة الاجتماعية؛ ليصبح فعلا اجتماعيا، تلميذة بين التدين واللاتدين: يتعامل هذا الصنف مع الدين بنفعية و استراتيجية، فيعتبرن أنفسهن وسطيات في الأمور التي تطرح من منطلق ديني.

الكلمات الدالة: التمثلات، التدين، الفعل الاجتماعي، المدارس الخاصة.

* المؤلف المرسل: بووشمة وهيبه: wahiba.bououchma@univ-tlemcen.dz

Abstract:

This study aims to explore the representations of religiosity among private school students through each student's social actions. We employed an analytical qualitative method, applied to a sample of female students in private schools. For this purpose, we prepared an interview guide consisting of the following axes: personal data of the respondents, the private school student and religiosity, ritual practices of religiosity. Each axis included a set of questions with indicators that enabled us to reveal the contradiction between what is religious and what is secular, through practices like prayer, hijab, and romantic relationships.

We arrived at the following conclusions: A religious student is one who finds that religion defines most aspects of her life, thereby directing social action towards social roles and statuses, making it a social act; A student between religiosity and non-religiosity deals with religion in a utilitarian and strategic manner, considering themselves moderate in matters posed from a religious standpoint.

Keywords: Representations, Religiosity, Social Action, Private Schools.

مقدمة:

يعتبر التدين من المواضيع التي نالت اهتمام عدد كبير من المفكرين على اختلاف مذاهبهم الفكرية ومشاريعهم النظرية، و أهم مفكر يمكن الاستشهاد به في هذا السياق هو "ماكس فيبر" في مؤلفه الشهير الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية حيث حاول فيه إبراز دور القيم الدينية في ظهور قيم العمل في المجتمعات الصناعية الجديدة التي كانت أساسا لظهور النظام الرأسمالي.

ومما لاشك فيه أن التدين من المفاهيم السوسيولوجية المهمة، حيث أنه يعتبر محدد من محددات الهوية الفردية والجماعية لأفراد المجتمع ويطلع شخصيتهم وطريقة تعاملهم وسلوكياتهم في الحياة. لقد تطور مفهوم الدين لدى الإنسان و أخذ أشكالا مختلفة ركزت على مختلف العناصر المكونة له، فما هو متعارف عليه في الحس المشترك هو أن التدين يمثل الأسلوب الذي يعيش به كل شخص معتقده في حياته اليومية. وفي دراستنا هذه أردنا أن نفهم تمثل التدين لدى فئة مهمة في المجتمع وهي فئة الشباب وبأكثر تدقيق لدى تلاميذ المرحلة الثانوية المتدربين بالمؤسسات الخاصة لكونها تمثل هوية اجتماعية ووضع اجتماعي وإقتصادي معين ولهذا إرتقمنا أن نطلق في هذا البحث من التساؤل التالي: ما هو تمثل تلميذ المدارس الخاصة للتدين؟

(1) الإشكالية:

إن الإنسان لا يستطيع بفطرته أن يعيش في هذا الكون ذرة تائهة إذ لابد له من رباط معين يضمن استقراره، فالحاجة للدين هي حاجة فطرية مركزة في طبيعة الإنسان فلا يمكن الإستغناء عن الدين مهما بلغ المجتمع البشري من تقدم وتنمية في جميع الجوانب، والدين هو نظام عقلائي منطقي موزون يتكون من مجموع المعتقدات والمبادئ والقيم والطقوس السلوكية ذلك أنه يحدد إطار تفكيرهم الإلهي وسلوكهم اليومي والتفصيلي و يرسم نمط حياتهم وإيديولوجيتهم التي تصوغ تصرفهم و علاقتهم الخاصة و العامة (إحسان محمد حسن، 2005، ص 45-46).

فالدين يعتبر نظام إجتماعي يحكم حياة كل فرد ويعد له قواعد سلوكه وكيفية معيشتة في أسرته وكيفية تربية أولاده... إلخ حتى يقوم المجتمع على أساس متفاهم ومتعاون على أداء الواجبات والحقوق ثم يتكامل هذا النظام الإجتماعي بوضع الأسس والقواعد والحلول التي تعالج قضايا المجتمع العامة إقتصادية كانت أم سياسية أم أخلاقية... إلخ (صالح هندي و آخرون، 2000، ص 38).

من خلال ما تقدم أن الدين ضرورة إجتماعية هذا لا يعني أن هناك تداخل بينه وبين مفهوم التدين، حيث يعتبر تقمص من الفرد للدين والجماعة للدين في مستواه الطقوسي. كما أنه كذلك طريقة لفهم الفرد للدين وكيفية إلتزامه العملي به من هنا اعتبر التدين نمط سلوكي وأسلوب للحياة هدفه التمسك والإلتزام بأفكار المعتقد الديني وتعاليمه تجاه الخالق والمجتمع إذ يتميز بالإرادة لتعديل السلوك كإستجابة لمضمون العقيدة الدينية وينطبق ذلك على معظم الأديان والمعتقدات منذ إستجابة الإنسان عبر التاريخ لنداء الفطرة الدينية، لكن التدين ليس مجرد فطرة متأصلة في النفس فحسب، بل هو ظاهرة إجتماعية عامة واكبت المجتمعات في كل أطوارها لذا فإن تكريس التدين في الحياة الإجتماعية يلبي الحاجات الفطرية للأفراد والجماعات ويخفي فكرة المقدس التي ترسخت في تعبيراتهم الدينية ومعتقداتهم وهذه هي الفطرة الإجتماعية، أما التدين في حياتنا المعاصرة ينظر إليه على أنه عملية إجتماعية يؤدي إنتشارها وعموميتها إلى إتخاذ شكل الظاهرة بشروط نشأتها وتطورها فضلا عن العمومية والإلتزام والتأثير المتبادل مع الظواهر الإجتماعية الأخرى السياسية منها والإقتصادية والتربوية والأسرية والثقافية... إلخ.

وبالتالي هي مثل غيرها من العمليات والظواهر الأخرى تسري عليها سنن وقوانين التغير الإجتماعي وتتأثر بالأبعاد المكانية والزمانية وحركة المجتمع في تقدمه وتخلفه أما في خصوصيتنا المجتمعية الراهنة فقد أخذت

ظاهرة التدين طابع التعقيد والتنوع جراء تظافر العديد من المتغيرات التي ساهمت في بروزها على المستويين التصوري والممارساتي الأمر الذي جعلنا نهتم بموضوع التدين عن غيره من الموضوعات المجتمعية وعن فئة هامة من فئات المجتمع ألا وهي تلاميذ المرحلة الثانوية بصفتها شريحة هامة من شرائح المجتمع والتي تفهم رؤاها وتصوراتها حول التدين في الواقع. كل هذا يمكننا من فهم الاختلافات الممارساتية المتعلقة بالتدين في الواقع المعاش ومن خلال هذا نطرح سؤال الاشكالية التالي:

هل التدين محدد من محددات الفعل الاجتماعي لتلميذات المرحلة الثانوية المسجلين بالمدارس الخاصة؟ وهل تعتبر تلميذة المدارس الخاصة التدين بمثابة عائق أم دافع في حياتها الاجتماعية؟

(2) الفرضيات:

- الدين محدد من محددات الفعل الاجتماعي لتلميذة المدارس الخاصة.
- تعتبر تلميذة المدارس الخاصة التدين بمثابة دافع في حياتها الاجتماعية.

(3) تحديد المفاهيم:

مفهوم التمثلات:

لغة: تمثل أو تصور الشيء، توهم صورته وتخيله واستحضره في ذهنه وتصور له الشيء، صار له تمثل مشخص أو صورة وشكل-2016 (Educappy.com/etudes/onception-intellectuel 01-18.)

اصطلاحاً: يعرفه ريمون بودون Raymond Boudon وآخرون في مؤلفه قاموس علم الاجتماع على أنه مجموعة من الاعتقادات والتصورات التي يكونها كل فرد حول موضوع معين والتي تقيده بالجماعة التي ينتمي إليها. (Raymond Boudon, 2005, P 199.)

كما تعرف التمثلات في قاموس le robert على أنها: صيرورة تكون إدراك للواقع، إنه تحول الوقائع الاجتماعية سياقات (أشخاص، وضعيات... إلخ إلى مقولات رمزية (القيم، المعايير). وتعرف كذلك بأنها شكل من المعرفة أو مجموعة من الأوصاف والخصائص التي تطبقها على كل موضوع اجتماعي بغية تحقيق هدف علمي (بن حمو فتحي، 2015-2016، ص 22)

في حين نجد Jodelet "جدلي" يعرف التمثلات على أنها شكل من أشكال المعرفة المنبثقة من الحس المشترك أي أنها عبارة عن تفكير اجتماعي يتضمن صيرورة اجتماعية و وظيفية. فالتمثلات تساعد على التواصل فهي ذات صبغة عملية ومن ثم فهم كل ما يحيط بالفرد والتحكم في محيطه الاجتماعي بما في ذلك المادي والفكري (Demie Jodelet, 1989, P63).

مفهوم التدين:

لغة: يقال دان بكذا ديانة وتدين به، فهو دين ومتدين ودينه الرجل تديننا إذا وكلته إلى دينه (إسماعيل ابن ماد الجوهري، 1990، ص 2119).

اصطلاحاً: اختلفت تعريفات التدين باختلاف الباحثين والمفكرين في هذا الحقل. فيعرف فرنون Vernon التدين على أساس أنه "شكل كلي لأنماط سلوكية تشمل الأحاسيس، المواقف، العواطف،... إلخ، وكلها تأتي على هيئة مجموعة و ؟ على أساس أنها كينونة بذاتها".

و يعرفه جلوك Glock بأنه الإلتزام بتطبيق تعاليم الدين والتقيد بأحكامه بحيث ينطوي التدين على فعل الممارسة الدينية ولقد حدده جلوك في أبعاد خمسة: بعد الاعتقاد، بعد الممارسة، بعد المعرفة، بعد التجربة وبعد الانتماء (هنوس نادر، 2015-2016، ص 73).

مفهوم الفعل الاجتماعي:

يمكن تعريف الفعل الاجتماعي على أنه مجموعة من الممارسات اليومية الموجهة، فلا يوجد بهذا أفعال عشوائية عديمة الأهداف والغايات وكل فعل في هذه الحالة يحركه تفكير مسبق والتفكير هو حالة من التعقل لإعجاز شيء معين.

تعريف المدارس الخاصة:

هي كل مؤسسة للتربية و التعليم ينشؤها أشخاص طبيعيون أو معنويون خاضعون للقانون الخاص وتقدم تعليماً بمقابل وتعد الجنسية الجزائرية شرطاً أساساً للراغبين في إنشاء هذا النوع من المدارس، وهو الذي يندرج ضمن بنود قانون المدارس الخاصة. والواجب على كل من يؤسس مدرسة خاصة أن يلتزم بدفتر الشروط (بكير حاج سعيد، ديسمبر 2018، ص 427).

مفهوم الدين:

لغة: الدال والياء والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها وهو جنس من الانتقاد، يقال دان له يدين ديناً، وإذا أصحبه وانقاد وطاع، وقوم دين أي مطيعون ومنقادون (أبي الحسن أحمد بن فاس بن زكريا، 1979، ص 319).

اصطلاحاً: نجد من بين أهم المفكرين الذين اهتموا بالدين كل من دور كايم، ماكس فيبر، كارل ماركس. فيعرف إميل دوركايم الدين على أنه تعبير عن اعتماد واستسلام الإنسان للحياة الاجتماعية المحيطة به وقد بلور دوركايم أفكاره حول الدين من خلال مؤلفه المعنون بـ: "الأشكال الأولية للحياة الدينية" حيث حدد في هذا المؤلف الفرق بين مفهومي المقدس والمدنس والذي يفصل بينهما الطابو (طارق كمال، 2009، ص 53).

أما ماكس فيبر فقد انطلق في دراسته للدين من سؤال رئيسي مفاده أن كل الحضارات عرفت في فترة من فترات تطورها اقتصادي لكنها سرعان ما تضعفوتندثر باستثناء الغرب الذي ظهرت فيه الرأسمالية وحافظت على تطورها وهذا كله بسبب البروتستانتية وخاصة المذهب الكالفيني وذلك لاحتوائه على نصوص تحث على العمل وبذل الجهد في كسب المال وعدم تبذيره واستثماره وهذا ما يعرف بالزهد. وكخلاصة يمكن تعريف الدين على أنه مجموعة من المبادئ ونسق من الرموز المنظمة للعلاقة بين الله والفرد. أما الدين فيحيل إلى السلوك والممارسة التي تكون بمثابة تجسيد للدين أي أنه إنعكاس لفهم كل فرد للدين الذي يدين به (عبد الله الخرجي، ص 38-39).

الجانب الميداني للدراسة:

تم إجراء هذه الدراسة الميدانية على عينة من تلاميذ المدارس الخاصة للمرحلة الثانوية لولاية تلمسان، حيث اعتمدنا على تقنية المقابلة والتي تعتبر من التقنيات المنهجية المباشرة و في جمع البيانات. ومن مزايا المقابلة أنها تسمح للباحث التعمق أكثر في فهم الموضوع المراد دراسته من خلال اللقاء والتواصل المباشر. وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على دليل للمقابلة مكون من مجموعة من الأسئلة والذي قسمناه إلى ثلاثة محاور.

يتمثل مجتمع البحث في تلميذات المدارس الخاصة بولاية تلمسان، ويمكن لنا أن نعرف مجتمع البحث بأنه مجموعة من الأفراد، الوثائق،... إلخ محددة تحديد واضحاً فيهم الباحث بدراستها وتعميم النتائج عليها. هناك

أسباب تمنع الباحث من إجراء الدراسة على المجتمع ككل لهذا يلجئ للعينة و هي كنموذج يشمل جانبا أو جزءا من وحدات المجتمع الأصلي المعني بالبحث (نادية سعيد عيشور، 2017، ص ص 291-292). كما ذكرنا سابقا أن مجتمع البحث هو تلميذات المدارس الخاصة المعاينة كانت فيها احتمالية أما العينة كانت عشوائية.

تلميذ المدرسة الخاصة و التدين:

كسؤال مبدئي وللخوض في الموضوع مع التلاميذ أردنا أن نجس نبضهن لما لهم من آراء حول التدين فكان إجماعهم على أن التدين هو الإلتزام بما أمر الله به والانتهاز عن ما نهانا عنه. فهناك من التلميذات من حصرت في العبادات ويظهر هذا في قول إحداهن: "أنا متدينة لأني نصلي ونصوم ولايسة حجاب"، وهناك من أضافت للعبادات المعاملات حيث قالت أخرى: "الصلاة والصوم و الحجاب ماشي كافيين بالإضافة ليهم نزيدوا الحشمة والابتعاد عن المحرمات والنهي عن المنكر... إلخ" في حين لخصت تلميذة أخرى بالقول التالي: "التدين هو كي تكون علاقتك مع ربي مليحة وأنت مرتاحة بهذه العلاقة". و كإستنتاج أولي نجد أن كل تلميذة على اختلاف الخلفيات النشئية لكل واحدة منها تصنف نفسها على أنها متدينة أو غير متدينة من خلال ثنائية الإلتزام من عدمه بأحكام الله و شرعه. و من هنا يمكن القول أن التدين هو حالة نفسية، إجتماعية، ثقافية... إلخ يبذل فيها الفرد جهده لتطبيق تعاليم الدين في واقع حياته، كما أنه سلوك يمارسه الفرد من خلال تطبيق شرائح الدين المختلفة من عقائد وأقوال وأفعال (مسعود بن حسين القحطاني، 2009، ص 14). والتدين هو استجابة لتعاليم الدين المختلفة من عقائد وأفعال وتكييف الحياة بحسبها في التصور والسلوك. كما يعرفه كلفورد جيرتز وذلك بالاعتماد على قراءاته النظرية وأبحاثه الميدانية وذلك لإمكانية تعميمه على جميع الأشكال الدينية الممكنة فيقول: "الدين نسق من الرموز يعمل على تأسيس طبائع ودوافع ذات سلطة وانتشار واستمرار دائم عند الناس وذلك عبر تشكيل تصورات حول النظام العام للوجود مع إضفاء طابع الواقعية على هذه التصورات بحيث تبدو هذه الطبائع والدوافع واقعية بشكل منفرد وتحتل الطقوس حسب جيرتز أهمية كبيرة داخل النسق الديني فهي تتجسد بالأساس عملية الدمج التي تقوم بها الرموز المقدسة، فالفهم الدقيق للكيفية التي يفكر بها الناس يمر بالضرورة عبر فهم سلوكياتهم و تصرفاتهم في سياق الأحداث الاجتماعية (عبد الغني منديب، 2006، ص 55).

و كاستخلاص أولي أردنا أن نضع تصنيف للتلميذات وذلك حسب الفعل الاجتماعي لكل تلميذة باعتبارها فاعل اجتماعي تسلك بطريقة تتفق مع معايير الأنظمة الدينية والأنظمة الأخرى. فمن المفترض أن لها غايات معينة و أن مسلكها كان له بعض النتائج، وغالبا ما تكون النتائج الناجمة عن الأفعال الإنسانية هي دائما ما قصد الأعضاء شعوريا القيام به. و لهذا فمن الأهمية لهذا البحث أنه عندما نحاول تحليل الوظائف الاجتماعية للسلوك الديني أن نميز بين ما قصدت التلميذات القيام به في سلوكهم و الآثار غير المقصودة (الآثار غير المقصودة هي استنتاجاتنا) لمثل هذا النوع من السلوك على الحياة الاجتماعية للتلميذة و قد اصطدمنا مع أجوبة تصب في هذا السياق.

و بالاعتماد على هذه المعطيات و كاستخلاص منهجي مبسط اعتمدنا على عدة متغيرات حاولنا من خلالها أن نكشف بين ما هو ديني و ما هو دنيوي و أهم هذه المتغيرات هي كالآتي:

- الصلاة: و تمثل الجانب الطقسي في الدين وربطناها بالجانب الدنيوي أي أهم الوظائف بالنسبة للتلميذة.

- الحجاب: باعتباره يمثل الهوية الدينية للتلميذة فتطرقنا إلى شكله ووظائفه فميزنا كما يسميه روبرت مرتون R. Merton بين الوظائف الظاهرة والوظائف الكامنة، و تكمن أهمية هذه التفرقة في أن النتائج المتعلقة بالحجاب كسلوك ديني نظامي وغالبا ما تكون النتائج المتعلقة بالحجاب كسلوك ديني نظامي وغالبا ما تكون هذه النتائج مخطط لها من طرف الأفراد الفاعلين. وأكثر من هذا فإن النتائج المقصودة تكون بمثابة الحائل بين ما هو ملاحظ وما هو غير ملاحظ (محمد أحمد بيومي، 2003، ص297).

- العلاقات العاطفية: نظرا لانتشار هذه الظاهرة خاصة في أوساط المؤسسات التعليمية، وكما هو معلوم أن الدين فصل في هذه العلاقات فأردنا أن نجد أهم التناقضات بين هذا المؤشر وأخرى تتناهي مع الدين. فربطنا متغير العلاقات العاطفية بمتغيرات أخرى كالزواج وتكوين أسرة بالإضافة للحياة العملية للأصناف المختلفة للتلميذات والحياة اليومية وعلاقتها بما هو ديني داخل المدرسة الخاصة من دروس ووعظ وإرشاد.

و قبل الشروع في هذا التصنيف انطلقنا من السؤالين التاليين:

- هل الأمور التي تواجهها تلميذة المدارس الخاصة في حياتها اليومية تطرحها من منطلق ديني أو العكس؟
 - و إذا طرحت هذه الأمور من منطلق ديني هل الدين محدد في كل جوانبها أو البعض منها فقط؟
- و حاولنا أن نجيب على السؤالين من خلال التصنيف التالي:

1. تلميذة متدينة: نجد أن الدين محدد في أغلب جوانب حياتها والتدين لدى هذه التلميذات قيمة سامية وحاجتهم إليه تفوق كل اعتبار. حيث أننا في هذا الصنف من التلميذات لم نجد تناقض كبير فيما هو ممارس في سلوكياتهم. فالقيم الدينية نجدها في أعلى تراتبية السلم القيمي، و تسلك بذلك طريقها عبر الدور والمكانة الاجتماعية للتلميذة لتصبح فعلا اجتماعيا مجسدا على أرض الواقع.

الممارسات الدينية اليومية للتلميذة المتدينة:

ما لاحظته من ممارسات دينية يومية لدى هؤلاء التلميذات هي البسمة جهرا ويستهلون بها معظم أنشطتهم، فهي تسبق الأكل والشرب، الجلوس والنهوض وباقي الأشغال الأخرى كتحضير الدروس، بالإضافة إلى ذكر الله سبحانه وتعالى دائما من خلال حصن المسلم ومرافقته لها في كل مكان. كذلك من أهم الممارسات الشفهية للتلميذات هي الاستغفار والتعوذ من الشيطان وتختلف بذلك باختلاف السياقات والمواقف التي تقع فيها التلميذة خاصة عندما توشك أن تقع في الخطأ أو في المناوشات مع صديقاتها أو في حالة نفسية مضطربة... إلخ. وكذلك تنطوي هذه الممارسات على خلفية أساسية هي أن الشيطان يترصد دائما بين البشر ليوقعهم في الخطايا ويدفعهم لارتكاب السلوكيات المعيبة. في هذا الصنف لم نجد تناقض كبير بين مختلف المتغيرات فهن يعتبرن الصلاة فرض ولا يجب التهاون في آدائها فمعظمهن مواظبات على الصلاة في كل الأوقات حيث تقول إحدى المبحوثات "الصلاة هي الصح كيما نصليش نحس حاجة ناقصتي" وتضيف قائلة "كي نصلي نحس براحة نفسية ليس لها مثيل". وهنا تظهر أهم وظائف الدين وهي الوظيفة النفسية والمتمثلة في الشعور بالراحة النفسية، وتضيف التلميذات في هذا الصنف في حالة وجود مشكلة أسلم أمري لله ففي كل مرة أجده بجاني وبهذا أربح علاقتي مع ربي، كذلك هو سبحانه لا يخيبني و يقبل دعائي ففي هذه الحالة نجد أن التلميذة وفق استراتيجية معينة تحقق أهدافها المنوطة وبهذا فهي تربح بالتدين أكثر مما تخسر أمور في حياتها اليومية، أي أن التدين لا يمثل لها عائق بل العكس على ذلك هو بمثابة الدافع في حياتها وبالتالي يحقق لها الوظيفة الروحية (علاقة التلميذة بالقرآن و الراحة النفسية التي تنتج عند ترتيب

التلميذة له) و هذا يؤكد قول التلميذة التالي: "القرآن والصلاة يعاونوني باش نراجع نفسي وأموري وما نوقعش في الزلات والخطايا، أنا صح لابسة الحجاب الشرعي ومتدينة لكن هذا ما يمنعش باش نخطئ".

رأي التلميذة المتدينة في الحجاب:

في هذا الصنف من التلميذات يكون الحجاب الشرعي الميزة الرئيسية لهن وذلك باعتبار الحجاب لباس شرعي ألزم الله به كل امرأة بارتدائه وقد استشهدن بآيات من القرآن الكريم. فبالحجاب تبتعد التلميذات عن الكثير من الأمور على حد قولهن ولظهرهم وشكلهم أهمية كبيرة، وقد عبرن على ارتدائهن للحجاب كما يلي: "ربي فرضه علينا" هذا كله سطحي. لكن بالدخول معهم في حوار معمق وجدنا أن الحجاب من خلاله تحصل على أمور كثيرة من بينها: السمعة الحسنة وهذا ما يؤكد قول المبحوثة التالي: "بالحجاب الناس بغات تنعتني بالمتريية والمتخلقة وسمعتي بقات فوق الراس".

كذلك يدل الحجاب على الانتساب للهوية الإسلامية أي دخول التلميذة في هوية دينية فالحجاب له دلالات لا تصرح بها المبحوثات في بعض الأحيان لكنها تؤول من خلال كلامهن. دلالة إيمانية: يمكن أن نقيس درجة الالتزام وإيمان المرأة بطريقة وضعها للحجاب أي أنه يعبر عن درجة التدين.

دلالة أخلاقية: تتمثل في قيمة المرأة المتحجبة التي تتيح لها أكثر من فرصة للزواج وهذا ما تؤكد تلميذة بقولها: "أنا جاووني خطابة بزاف بسبة أنني متدينة ومتريية"(طالبي خليفة، 2013-2014، ص 105-106).

من خلال الأخذ والرد في الحديث مع المبحوثات نرى أن مفهوم الحشومة تكرر كثيرا في سياق المقابلة، وهو مفهوم سوسيولوجي أكثر منه ديني فمفهوم الحشومة هو الاحتراس اللازم في السلوك في إطار قواعده التي يشارك فيها أعضاء المجتمع، فالحشومة في هذه الحالة ليست ذلك الشعور الأخلاقي الباطني للفرد كما هو الشأن في سلوكياته مع الآخرين وإنما هي تعني عدم الخروج عن الصورة التي من المنتظر أن يضع المرء فيها نفسه إزاء الآخرين من يقيم لهم اعتبار(عبد الغني منديب، المرجع السابق، ص 64).

وما يمكن قوله هنا هو فهم حقيقة إرتداء الحجاب من طرف التلميذات يساهم في إلقاء الضوء على أهمية الدين في النسق الاجتماعي والسبب في هذا هو أن الحجاب كفرض ديني مقدس يفرض على من ترتديه أن تحترمه ولا تقوم بأي فعل يتنافى بقيمته الدينية، وكماستنتاج رئيسي في هذا الجانب يمكن القول أنه على

الرغم من أن الدين يبقى المحدد رقم واحد في القول الاجتماعي لهذا الصنف من التلميذات، إلا أن كل تلميذة لها استراتيجية معينة وذلك في خدمة الحجاب لصالحها.

- رأي التلميذة المتدينة في العلاقات العاطفية:

اعتمدنا في هذا المقال على متغير العلاقات العاطفية حيث يعتبر موضوعا حساسا إذا ما قرن مع الدين والمدرسة بصفة عامة ليست بمعزل عما ينتشر في المجتمع من ظواهر اجتماعية التي زادت مع مرور الوقت بما في ذلك العلاقات العاطفية أي علاقات الصداقة بين الذكور والإناث، فبالنسبة لهذا النوع من التلميذات وفي حدود بحثنا وجدنا أنه يعتبر أنه ليس من الضروري إقامة علاقة تعارف قبل الزواج والقبول بهذا الأمر وممارسته في الواقع الاجتماعي دليل على التجاوز الديني.

2. تلميذة بين التدين و اللاتدين:

في هذا الصنف تعتبر التلميذات أنفسهن وسطيات فالدين محدد لهن في جوانب وغير محدد لهن في جوانب أخرى، أي أنهن نفعيات براغماتيات مع ما هو دينوي وما هو مقدس وديني فالأمر الذي يواجهها إذا طرحته من منطلق ديني ولا يعود عليها بالمنفعة يؤدي بها هذا إلى اختبار ما هو نفعي وما يتوافق مع مصلحتها حتى وإن تناقض مع ما هو ديني في بعض الأحيان لكن ليس كلها، كما أن هناك تنافس كبير بين ما هو مارس وما هو متصور وللتفصيل أكثر نجد أن هذا الصنف من التلميذات ينقسم إلى قسمين:

- قسم يميل للتدين أي الصنف الأول: فالجانب البراغماتي و الدينوي لا يظهر كثيرا لكن هناك حساب شخصية تقوم بها كل تلميذة في هذا الصنف من أجل فعل معين فهن حذرات في تصرفهن.

- قسم آخر وهو التلميذة غير المتدينة فيغلب على هذا الصنف كل ماله علاقة بالمصلحة سواء من طرف الحجاب أو العلاقات العاطفية وحتى الصلاة ولتبيان الاختلاف بين الصنفين سنعتمد على أفكار ريمون بودون R. Boudon وآرائه حول الفعل الاجتماعي، حيث انطلق في ذلك من مفهوم الفرد العقلاني الذي يتصرف بعقله ونواياه للبحث عن التفكير العقلاني المنطقي لدى الفرد في ظرف ما بغية فهم دوافعه الخاصة. وفي رأيه أن الفرد يتبنى سلوكا عقلانيا حينما يصبح فاعلا اجتماعيا ذلك أن المحيط يؤثر في أفعاله التي تتغير بتغير إطار الفعل ويكيف بعد ذلك إختياراته، رغم أنه يقر دائما أن الإختيارات كلها لا يحددها المحيط دائما لأن الفرد يحافظ على هامش مناورة تسمح له باختيارات ذاتية

(ربمون بودون) و لإسقاط آراء بودون في هذا الصنف من التلميذات نجد أنهن يواظبن على الصلاة و يلبسن الحجاب إلا أننا نجد بعض هؤلاء التلميذات لها علاقة عاطفية وعند الخوض في مبررات ودوافع ومقصد هذا النوع من التلميذات من هذا الفعل هو استخدامها للعقلانية في تسيير قيمة على أخرى وذلك بوجود الوسائل الكفيلة لبلوغ هدف معين فمثلا في الإجابة عن سؤال الهدف من إقامة علاقة عاطفية هو بغرض الزواج بالدرجة الأولى. وفي هذا الصنف لو خيرت على نزع الحجاب فلا تقوم بهذا الفعل لأسباب دينية وحسابات استراتيجية وعقلانية لها علاقة بالسمعة الشرف.

- أما التلميذة غير المتدينة: ففي هذا الصنف لا يواظبن على الصلاة و إن حرصوا عليها فلا يؤدونها في وقتها أو ينقطعون عنها. و يعتبر عدم الالتزام في الصلاة سلوكا مقبولا بالنسبة لهن ولا ينظرون إليها على أهميتها كشرط محدد للإلتزام للهوية الدينية وبالتالي فإنقطاعهم عنها لبضعة أيام أو تأخرهم عن ممارستها لا يعد سببا كافيا لإقصائها عن الهوية الدينية وهذا ما يلاحظ في قول إحدى المبحوثات: "راني مقصرة في علاقتي مع ربي لكن هذا لا يعني أنني كافرة وربي غفور رحيم".

الحجاب الذي يميز هذا النوع من التلميذات هو حجاب الموضة لكن يعبر عنه بأنه محتشم ومحترم وما يميزهن هو الاهتمام كثيرا بمظهرهن وهنا نلاحظ توتر في أفعال التلميذات وتفاعلهن مع القيم الدينية بشكل عام وليس فقط في الحجاب، فنجد عدم التوافق بين القيم والمعايير الدينية ومتطلبات الحياة لدى المبحوثات هنا يخلق نوع من الانتهازية (طالبي حفيفة، المرجع السابق، ص 110). أما العلاقات العاطفية في هذا الصنف من الطالبات شيء لا بد منه وهي تأخذ بهذا الرأي وفق استراتيجية تدخل بجانبها عوامل اقتصادية واجتماعية فعلى الرغم من إدراك التلميذة حرمة هذا النوع من العلاقات، إلا أنها تتأثر بمقتضيات العصر والظروف المحيطة أكثر مما تتأثر بحرمة الدين.

خاتمة:

وفي الختام يمكن القول أن هذا المقال لم نكن نهدف فيه إلى دراسة حقيقية للتدين، أو دراسة الفئة المتدينة من التلميذات وفقط، وإنما بحثنا في تمثل التدين من خلال الفعل الاجتماعي لكل تلميذة. ومن ناحية أخرى فإن ما ورد في المقال من بدايته حتى نهايته يركز على مسلمة أساسية تتمثل في أن الدين يعتبر محدد من محددات الفعل الاجتماعي لتلميذة المدرسة الخاصة، وتمثلها للتدين مبني على استراتيجية

فردية عقلانية. ولكي نتحقق من فرضية بحثنا اعتمدنا على متغيرات حاولنا من خلالها أن نكشف التناقض بين ما هو ديني وما هو دنيوي أي أن نكشف استراتيجية كل تلميذة من خلال التعامل مع الصلاة، الحجاب، العلاقات العاطفية.

وقد توصلنا إلى التصنيف التالي:

تلميذة متدينة: وهي التلميذة التي نجد أن الدين محدد في أغلب جوانب حياتها والتدين لدى هؤلاء التلميذات قيمة سامية وحاجتهم إليه تفوق كل اعتبار فلم نجد بذلك تناقض كبير بين ما هو ممارس في سلوكياتهم وبين ما هو متصور. فالقيم الدينية نجدها في أعلى تراتبية السلم القيمي وتسلك بذلك طريقها عبر الدور والمكانة الاجتماعية للتلميذة لتصبح فعلا اجتماعيا مجسدا في أرض الواقع.

تلميذة بين التدين واللاتدين: تعتبر التلميذة نفسها وسطية فالدين محدد لها في جوانب وغير محدد في جوانب أخرى، فتظهر النفعية مع ما هو ديني وما هو مقدس بشكل جلي، فإذا طرحت الأمور من منطلق ديني ولا يعود عليها بالمنفعة يؤدي بها إلى إختيار ما هو نفعي وما يتوافق ومصحتها حتى وإن تناقض مع ما هو ديني في بعض الأحيان وليس كلها.

وكحوصلة لما تم التوصل إليه من نتائج يمكن القول أن الدين يبقى محدد لمختلف جوانب أفعال تلميذة المدرسة الخاصة حتى وإن اختلفت مكانته من فعل لآخر باعتباره دافع أو عائق في الحياة الاجتماعية لكل تلميذة.

قائمة المراجع:

- 1 *أبي الحسن أحمد بن فاس بن زكريا، 1979، معجم مقاييس اللغة، الجزء الثاني، دار الفكر، ص 319.
- 2 *إحسان محمد حسن، 2005، علم الاجتماع الديني، دار وائل، الأردن، ط1، ص 45-46.
- 3 *إسماعيل ابن ماد الجوهرى، 1990، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، دار العلم للملايين، ط4، ص 2119.
- 4 * بكير حاج سعيد، بومانة محمد، 2018، التعليم الخاص من المراقبة إلى المرافقة، مجلة دراسات و أبحاث، مجلد 10، العدد 04، ديسمبر ص 427.

- 5 * بن حمو فتحي، 2016، تمثلات المهاجرين السريين للمواطنة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، ص 22
 - 6 * ريمون بودون، أبحاث النظرية العامة في عقلانية العمل الاجتماعي و الحس المشترك، تر: جورد سليمان، المنطقة العربية للترجمة.
 - 7 * صالح هندي و آخرون، 2000، الثقافة الاسلامية، دار الفكر، عمان، ط1، ص38.
 - 8 * طارق كمال، 2009، أساسيات في علم الاجتماع الديني، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ب ط، 2009، ص 53.
 - 9 * طالبي حفيظة، المرجع السابق، ص110.
 - 10 * طالبي خليفة، تعدد أشكال الحجاب و علاقته بالتغير الاجتماعي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2013-2014، ص ص105-106.
 - 11 * عبد الغني منديب، 2006، الدين و المجتمع، إفريقيا للنشر، المغرب، ب ط، ص55.
 - 12 * عبد الغني منديب، المرجع السابق، ص64.
 - 13 * عبد الله الخريجي، د ت، علم الاجتماع الديني، جدة، ط2، ب س، ص ص38-39.
 - 14 ** محمد أحمد بيومي، 2003، علم الاجتماع الديني و مشكلات لعالم الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ب ط، ص297.
 - 15 * مسعود بن حسين القحطاني، 2009، التدين و علاقته بالكفاءة الاجتماعية، رسالة ماجستير كلية الارشاد التربوي و التربية الخاصة، جامعة مؤتة، ص14.
 - 16 * نادية سعيد عيشور، 2017، منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، مؤسسة حسين رأس الحليل، الجزائر، ط1، ص 291-292.
 - 17 * هنوس نادر، 2016، التدين في أوساط الشباب الحضري مقارنة سوسيوأنثروبولوجية للمدينة السلفية، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة وهران، ص 73.
- 18 * Educappy.com/etudes/onception-intellectuel 2016-01-18.

مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 21 العدد 01 2025/01/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

- 19 * Raymond Boudon, 2005, dictionnaire de sociologie, Larousse, Paris, P 199.
- 20 * Demie Jodelet, les représentations sociales, 1989, P63.